ملف المدى

في بلد الـ ٣٣ مليون إله

السيخ.. ديانة هندية مزجت بين الهندوسية والاسلام ومعبدها الذهبي قتل أنديرا غاندي!

المعبد الذهبي يحتل مكانة كبيرة ومقدسة عند السيخ... أ.ف.ب

الهند بلد غني في الديانات ، تقول الإحصاءات انها تحتوي ٣٣٣ ديناً، وأشيعها الهندوسية، والإسلام والبوذية والمسيحية واليانية والسيخية ، وجميعها لها بصماتها على شبه القارة التي يعبد فيها ٣٣ مليون إله.. ومن الهندوسية انشقت الديانة السيخية التي اشتهرت بمعبدها الذهبي الذي يزوره سنويا ملايين الاشخاص ، ونال شهرة عريضة عندما تسببت عملية اقتحامه في شهر حزيران ١٩٨٤ بمقتل رئيسة وزراء الهند انديرا غاندي على يد سيخي متطرف قال انه قتلها انتقاما لمعبده المقدس .

ملف المدى اليوم يبحر في الديانة السيخية متجولا في تفاصيل ومعلومات متنوعة تلقي الضوء عليها وعلى مكانتها والكيفية التي ظهرت بها ، وسر عدائها للمسلمين والهندوس على حد سواء ، اضافة الى اشياء اخرى عديدة.

■ اعد الملف/ جمال القيسي

كيف انشئ الدين السيخي؟

من المرجح ان المؤسس الاول للسيخ :هو " تاناك "، ويدعى : " غورو "، أي : المعلّم، ولد سنة ١٤٦٩ م في قرية " ري بوي دي تلفندي " التي تبعد ٤٠ ميلاً عن لاهور، وكانت نشأته هندوسية تقليدية . عمل محاسباً لزعيم أفغاني في "سلطانبور" اثناء شبابه، وهناك تعرّف على عائلة مسلمة كانت تخدم هذا الزعيم، درس علوم الدين، وتنقل في البلاد، كما قام بزيارة مكة، والمدينة، وزار أنحاء العالم المعروفة لديه، وتعلم : الهندية، والسنسكريتية، والفارسية.

وادّعى أنه رأى الرب، حيث أمره بدعوة البشر، ثم اختفى أثناء استحمامه في أحد الجداول، وغاب لمدة ثلاثة أيام، ظهر بعدها معلناً : "لا هندوس ولا مسلمون".

كان " غورو " يدّعي حب الإسلام، ويعترف انه كان مشدوداً إلى تربيته وجذوره الهندوسية من ناحية أخرى، مما دفعه لأن يعمل على التقريب بين الديانتين، فأنشأ ديناً جديداً في القارة الهندية، وبعض الدارسين ينظرون إليه على أنه كان مسلماً في الأصل ثم ابتدع مذهبه هذا .

- أقام المعبد الأول للسيخ في " كارتاربور " في باكستان حاليًا، وقبل وفاته عام ١٥٣٩م عيّن أحد أتباعه خليفة له، وقد دفن في بلدة ديرة " باباناناك " من أعمال البنجاب الهندية الآن، ولا يزال له ثوب محفوظ فيه مكتوب عليه سورة الفاتحة وبعض السور القصيرة من القرآن الكريم. وربما كان سببُ ادعائهم الإسلام له : ورودَ بعض العبارات في كتابه ؛ بحيث يوجد بها بعض الروح الإسلامية، كقوله : " اقرأ كلمة الإله التي معها اسم محمد محبوب، وقد ضحى بما لديه في سبيل الله " .

وكذلك كان يذكر في كتابه : القرآنَ، والرسولَ، واليومَ الآخر، والرحمن، والرحيم، وغيرها من الكلمات الإسلامية .ولكن ذلك ليس كافياً بالحكم له بالإسلام، ولذلك كانت السيخ تقول : إن " نانك " لم يكن مسلماً، ولا هندوكياً، وإنما كان يُحب فقراء المسلمين، وفقراء الهنادك.

صفحة من الأدي جرانت

- خلفه من بعده عشرة خلفاء معلّمون، آخرهم : " غوبند سنغ " (١٦٧٥ - ١٧٠٨م) الذي أعلن انتهاء سلسلة المعلمين ، وكان هذا الخليفة من أشجع خلفاء السيخ، وأخبرهم بأمور الحرب، وهو الذي صرف همَّه كله لتوحيد صفوفهم، وبث فيهم روح العداء للمسلمين، وفتح الباب لجميع من أراد الدخول في السيخية، ولم يفرق بين الطبقات، فدخل الناس في دينه أفواجاً .

ثم جعل لقومه زيّاً خاصًا يتميزون به عن الآخرين، وأوجب على كل سيخي أن يتخذ لديه قطعة من الحديد ؛ وذلك دليل على شجاعته وصلابته، وألا يحلق شيئاً من شعر جلده، وأن يكون عنده مشاطة، وأوجب تعظيم البقرة، ورفع القيود عن المأكل والمشرب حتى أباح الخمر.واتخذ مع اسمه لقب " سنغ " أي : الأسد، ثم أطلق هذا اللفظ على كل سيخي، فما منهم من أحد إلا وفي اسمه " سنغ "، وهو الذي لقب السيخ بـ: " الخالصة "، أي : القوم الأحرار، وهو الذي فصل الأمة السيخية عن الأمة الهندوسية فصلاً تامًا، وفي عهده أصبح السيخ أعدى أعداء المسلمين، وصاروا يسعون للانتقام منهم في كل فرصة سنحت لهم .

صار زعماؤهم بعد ذلك يُعرفون باسم المهراجا، ومنهم المهراجا "رانجيت سنغ" المتوفى سنة ١٨٣٩م.

الهندوس يعتبرون السيخ منشقين عنهم!

اتخذ بعض الهندوس موقفاً وسطاً، فانصرفوا عن عبادة آلهة الهندوس، واستبدلوها بعقيدة جديدة، هي وسط بين الهندوسية والإسلام، وإن كانت تبدو أقرب إلى الإسلام في مناح عديدة جوهرية.

عدم وجود قواسم مشتركة كثيرة بين الهندوس والسيخ من حيث العقائد والطقوس امر واضح ، لكن على الرغم من ذلك فإن الهندوس،وخاصة متطرفيهم، يعتبرون السيخ منشقين عن الديانة الهندوسية ، ويعاملونهم على هذا الأساس، فقد انسلخ السيخ عن عبادة الأصنام التي هي من سمات الهندوسية، واستبدلوها بعبادة الإله الواحد، وحرموا نسكهم، ورفضوا عقيدتهم في التناسخ ، وسفهوا الطبقية الاجتماعية الجائرة التي صنف وفقها الهندوس البشر في مجتمعهم إلى ثلاث طبقات لا تنافذ بينها، هي: السادة البراهميون والعامة من الناس وفئة المنبوذين أو غير المسوسين من الكادحين.

وبالرغم من التشابه الملفت للنظر بين السيخية والإسلام في التوحيد ونبذ عبادة الأصنام وفي اعتقادهم بكتاب مقدس ، إلا ان السيخ يصرون على تمييز انفسهم عن المسلمين، وهم في ذلك لا يختلفون عن الأديان والمذاهب الأخرى في تشريعهم لعقائد خاصة بهم تميزهم عن الغير، وتشكل هوية انتماء لأتباع ملتهم، وعلى سبيل المثال يحرم السيخ أكل أضاحي المسلمين ويمنعون الختان ولا يبيحون حجاب المرأة.

فضّلوا العيش مع الهندوس على المسلمين!

وضع الانقسام والتقاتل بين الهندوس والمسلمين إبان فترة حصول الهند على الاستقلال من الاستعمار البريطاني السيخ أمام اختيار مصيري: العيش مع المسلمين في دولتهم الجديدة باكستان أم الهندوس في ما تبقى من الهند، فضل السيخ مجاورة الهندوس على المسلمين، ليبدأوا امن جديد استصلاح الأراضي التي استقروا فيها في حوض البنجاب، و مزارعهم تنتج ٧٠٪ من القمح و٥٠٪ من الأرز في الهند، ويعزى لهم الفضل في بلوغ الهند الاكتفاء الذاتي في محصول القمح.

وعلى الرغم من تفضيل السيخ للهندوس على المسلمين واختيارهم العيش معهم الا انهم لم ينجوا من اضطهاد الهندوس، على الرغم من ابتعادهم عن السياسة والتنافس على النفوذ والمناصب، ويتهم بعض السيخ الهندوس بالتدخل في أمورهم مما اضطرهم إلى اللجوء إلى حرم المعبد الذهبي في مدينة أرمستار من إقليم البنجاب الهندي، ويعتبر السيخ هذا المعبد أقدس أقداسهم، يحتفظون فيه بمخطوطاتهم وآثارهم الدينية المقدسة، والمبنى قائم منذ مئات السنين، وسمي بالمعبد الذهبي لأن قبته الرئيسية مغطاة بالذهب!من الداخل والخارج.

والسيخية ديانة بدأت في شمالي الهند في القرن السادس عشر بالدعوة لاتباع تعليمات غورو ناناك وخلفائه التسعة من الغورو البشر. لقب غورو يعني بالهندية المعلم. كلمة "سيخية" تأتي من كلمة "سيخ" وهي بدورها تأتي من الجذر السنكسكريتي التي تعني التلميذ وسبب انتشارها في العالم هو اعتماد الإنجليز عليهم في بعض الحروب وهجرات السيخ خارج بلادهم. وكانت البوذية في الأصل حركة رُهبانية نشأت داخل التقاليد البارهمانية تحولت عن مسارها عندما قام بوذا بإنكار المبادئ الأساسية في الفلسفة الهندوسية، بالإضافة إلى رفضه وصاية السُلطة الكَهنوتية، كما لَم يرد أن يعترف بأهلية كتابات الفيدا، وكذا مظاهر وطقوس عبادة الآلهات التي كانت تقوم عليها ، و كانت التعاليم الجديدة التي بشر بها موجهة للرجال والنساء و إلى كل الطبقات الاجتماعية بدون استثناء ، و كان بوذا يرفض المبدأ القائل بأن القيمة الروحية للإنسان تتَحدَد عند ولادته (نظام الطبقات الاجتماعية الهندوسي).

أبرز معتقداتهم.. وحدانية الخالق وتحريم اللحوم ومنع الزواج بأكثر من واحدة!

• التوحيد:الدعوة إلى التوحيد ونبذ التعددية وعندهم أنه لا فرق بين لفظ الجلالة الله و (فشنو) الإله الحافظ عند الهندوس والإله عندهم لا يتجسد ولايدركه عقل.

• وحدة الوجود: فيعتقد أن المخلوقات برزت من مادة الإله ولذلك فغاية المنى عند السيخي أن يتحد بالإله.

• الوحدانية : التأكيد على وحدانية الخالق الذي لا يموت.

• منع تمثيل الاله في صور.

• تحريم اللحوم: بأجمعها

• تحريم: التدخين والخمر والمخدرات.

• الغورو: للمعلم (غورو) درجة دينية تأتي بعد الله.

• الإيمان بالنبوة والرسالة: وأن الله يبعث إلى عباده رسلا يهدونهم ويدلونهم إلى طريق الخير والصلاح، وهذا قريب من معتقد المسلمين،(أرجان) المتوفى سنة ١٦٠١م، والذي ألغى ألوهية جميع المصلحين حيث أن الله في السيخية لا يتجسد وفي كتاب أدي جرانت نسبت إليه هذه الجملة((كل البشر الذين نعرفهم خطاءون، الغورو الحقيقي الذي لا يخطئ، أنه الزاهد الوحيد وبكل جدارة للإله ولكنه ليس إلهاً ولا تجسد للأله لأن الإله الأعظم لا يتجسد)).

• التزوج: من زوجة واحدة فقط.

• تحريم الرهبنة: حيث يجب على أتباع الطائفة السعي لطلب الرزق، على خلاف مذهب الهندوس الذي يرغب أتباعه في الرهبنة وترك العمل والسلبية في الحياة.

• المحافظة على التزام القواعد الخمس وهي بمثابة الهدي الظاهر لهم، ويرمز لها بال"٥ كافات" (وذلك لانها كلها تبدأ بحرف الكاف) وهي:

• المساواة :وهي المساواة بين الرجل والمرأة في المعاملات والمواريث، والمساواة بين أعراق وألوان العالم وهم لايؤمنون بأن هناك شعباً مفضلاً عن الله دون الأخرين.

من هو (المرتدّ) في ديانتهم ؟

يصر السيخ على الالتزام بما يسمونها (الكاكارس) أو (الخمسة كافات) وعندهم من لا يلتزم بها يصفوه بصفة (باتت (أي المرتد، ومن يدخل السيخية حديثا يجعلونه يتعود عليها ويسمونه المتكيف البطيء وهذه الكافات هي:

• الكيسا kesh: ومعناها إطالة شعر الرأس واللحية وعدم حلقهما.

• الكنغاها kangha: هو مشط يستعمله السيخي عند وقت الضرورة وكلما أراد تصفيف شعره.

• الكاشا kaccha وتعني لبس سروال متسع ينتهي تحت الركبتين، وهو أشبه بالشورط العسكري.

• الكارا kara: وهو سوار من الفولاذ يلف حول المعصم، ويحرم لبس جميع أنواع الحلي والجواهر.

• الكيربان kirpan: وهو خنجر من الفولاذ يحمله السيخي للتحلي به، وليحمي به نفسه من أعدائه ومحرم عليهم استعماله مع بعضهم البعض.

كتابان مقدسان وثلاثة أعياد سنوية

هناك كتابان مقدسان للسيخية وهما (أدي جرانت) و (داسم جرانت) ومعنى الكتاب الأول وهو الكتاب الأكثر قداسة والمقدس عند السيخ والذي كتبه هو الغورو أو المعلم الخامس أرجان حيث جمع فيه كل التعاليم السيخية والتي لم تسجل في كتاب واحد إلا في عصره كما أضاف إليه بعض النصوص المقدسة التي تؤدى في طقوس الصلاة والزواج والمولود والتعميد والجنائز وغيرها وقد أضيف إليه خمسة نصوص أي أكثر من ألف نشيد للغورو رامداس الغورو الرابع كما أضاف الغورو العاشر غوبند سنغ تاريخ السيخية وهو كتاب باللغة الكورمكية. أما الثاني ويسمى أيضا بجرانت صاحب وهو يلي كتاب أدي جرانت في القداسة وينسب للغورو العاشر الغورو غوبند سنغ وهو ويحتوي على آداب وتقاليد الخالسا ويعرف أتباعه بالسنغ ويوجد به أيضا الكافات الخمسة وهي طائفة من الشباب التزمت بنظام سلوكي قاس، حيث ينصرفون إلى العبادة والقتال من أجل الحق والعدل الذي يعتقدونه. وتتركز عبادتهم بترديد الأناشيد من كتبهم المقدسة، وهكذا أراد ناناك الجمع بين سمو تعاليم دين الإسلام وتقليد الآباء ، وللسيخ بلد مقدس يعقدون اجتماعاتهم فيه وهي مدينة أمريتسار في الهند. وللسيخ ثلاثة اعياد هي: عيد البيساكي ويسمى العيد الرئيسي للسيخ هو عيد البيساكي عيد رأس السنة السيخية الموافق ١٥ أبريل من كل عام. وعدد الأيام عندهم ستة أيام ، وعيد ميلاد الغورو ناناك رغم أن الغورو ناناك ولد في ١٥ نيسان عام ١٤٩٩ إلا أنهم يحتفلون به في ٢٥ تشرين الثاني من كل عام ، وعيد ميلاد الغورو غوبند سنغ ويحتفل به في ٥ كانون الثاني من كل عام .

قتلوا أنديرا غاندي لأنها أمرت باقتحام معبدهم

تعرض السيخ لاضطهاد "المغول" ، الذين أعدموا اثنين من معلميهم ، وقد كان أشد المغول عليهم نادر شاه ١٧٣٨ – ١٨٣٩ م ، الذي هاجمهم ، مما اضطرهم إلى اللجوء إلى الجبال ، والشعاب ، وصاروا بعد عام ١٧٦١ م حكاماً لـ "البنجاب" ؛ وذلك بعد ضعف "المغول" ، حيث احتلوا لاهور عام ١٧٩٩ م ، وفي عام ١٨١٩ م امتدت دولتهم إلى بلاد "الباتان" ، وقد وصلت إلى ممر "خيبر" في عهد المهراجا "رانجيت سنغ" – توفي ١٨٣٩ م – متغلبين على الأفغان .

ثم تحول السيخ إلى أداة في أيدي الإنجليز يضطهدون بهم حركات التمرد ١٨٥٧ م ، وحصلوا من الإنجليز على امتيازات كثيرة ، منها منحهم أراضي زراعية ، وإيصال الماء إليها عبر قنوات ، مما جعلهم في رخاء مادي ، يمتازون به عن جميع المقيمين في المنطقة ، وفي الحرب العالمية الأولى كانوا يشكلون أكثر من ٢٠ ٪ من الجيش الهندي البريطاني ، ثم ألغت الحكومة الهندية الامتيازات التي حصل عليها السيخ من الإنجليز ، مما دفعهم إلى المطالبة بولاية "البنجاب" وطناً لهم .

وعلى إثر المصادمات المستمرة بين الهندوس والسيخ : أمرت " أنديرا غاندي " – رئيسة وزراء الهند – في شهر حزيران ١٩٨٤ م باقتحام المعبد الذهبي في " أمرتيسار " حيث اشتبك الطرفان ، وقتل فيه حوالي ١٥٠٠ شخص من السيخ ، و ٥٠٠ شخص من الجيش الهندي .

وفي يوم ٣١ تشرين الثاني ١٩٨٤ م أقدم السيخ على قتل رئيسة الوزراء هذه ؛ انتقاماً لاقتحام المعبد ، وقد حصلت مصادمات بين الطرفين عقب الاغتيال قتل بسببها عدة آلاف من السيخ يقدرها بعضهم بحوالي خمسة آلاف شخص .

لقد اشتهر السيخ خلال حكمهم بالتعسف والظلم والجور والغلظة على المسلمين ، مثل : منعهم من أداء الفرائض الدينية ، والأذان ، وبناء المساجد في القرى التي يكونون فيها أكثرية ، وذلك فضلاً عن المصادمات المسلحة بينهما ، والتي يقتل فيها كثير من المسلمين الأبرياء ، ومن الذين قُتل على أيديهم العالم القائد شاه محمد إسماعيل الدهلوي ، وهو المعروف بـ "إسماعيل الشهيد" ، وذلك في معركة "بالاكوت" سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣١ م).

المعبد الذهبي... أ.ف.ب